بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ 6 جماد أول 1446هـ

عِبَادَ اللهِ: نِعَمُ اللهِ عَلَيْنَا كَثِيرَةٌ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَىٰ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ﴾ عَدَدًا مُجَرَّدًا عَنِ الشُّكْرِ ﴿لَا تُحْصُوهَا﴾ فَضْلًا عَنْ كَوْنِكُمْ تَشْكُرُونَهَا، فَإِنَّ نِعَمَهُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ عَلَىٰ الْعِبَادِ بِعَدَدِ الْأَنْفَاسِ وَاللَّحَظَاتِ، مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ النِّعَمِ مِمَّا يَعْرِفُ الْعِبَادُ، وَمِمَّا لَا يَعْرِفُونَ، وَمَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ مِنَ النِّقَمِ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَىٰ، ﴿إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يَرْضَىٰ مِنْكُمْ بِالْيَسِيرِ مِنَ الشُّكْرِ مَعَ إِنْعَامِهِ الْكَثِيرِ. اهـ

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾، وَالْمَطَرُ أَحَدُ هَذِهِ النِّعَمِ الْكَثِيرَةِ؛ فَهُوَ غِيَاثُ الْأَرْضِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾. قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ»: فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَهِيَ مَيِّتَةٌ هَامِدَةٌ خَاشِعَةٌ، فَإِذَا أَنْزَلَ عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ فَتَحَرَّكَتْ، وَرَبَتْ فَارْتَفَعَتْ، وَاخْضَرَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، فَأَخْرَجَتْ عَجَائِبَ النَّبَاتِ فِي الْمَنْظَرِ وَالْمَخْبَرِ، بَهِيجٌ لِلنَّاظِرِينَ، كَرِيمٌ لِلْمُتَنَاوِلِينَ، فَأَخْرَجَتِ الْأَقْوَاتَ عَلَىٰ اخْتِلَافِهَا، وَتَبَايُنِ مَقَادِيرِهَا وَأَشْكَالِهَا، وَأَلْوَانِهَا وَمَنَافِعِهَا، وَالْفَوَاكِهَ وَالثِّمَارَ، وَأَنْوَاعَ الْأَدْوِيَةِ، وَمَرَاعِيَ الدَّوَابِّ وَالطَّيْرِ.

ثُمَّ انْظُرْ إِلَىٰ قِطَعِهَا الْمُتَجَاوِرَاتِ، وَكَيْفَ يَنْزِلُ عَلَيْهَا مَاءٌ وَاحِدٌ فَتُنْبِتُ الْأَزْوَاجَ الْمُخْتَلِفَةَ الْمُتَبَايِنَةَ فِي اللَّوْنِ وَالشَّكْلِ، وَالرَّائِحَةِ وَالطَّعْمِ وَالْمَنْفَعَةِ، وَاللِّقَاحُ وَاحِدٌ، وَالْأُمُّ وَاحِدَةٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ جَعَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ

حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾، وَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا مُمْتَنًّا عَلَىٰ عِبَادِهِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

وَالْغَيْثُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ، فِيهِ الرَّعْدُ الْمُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ سُبْحَانَهُ، وَالْبَرْقُ وَالصَّوَاعِقُ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِمَا عِبَادَهُ، وَيُطَمِّعُهُمْ فِي فَضْلِهِ وَجُودِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ، مَا هُوَ؟ قَالَ: «مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ، مَعَهُ مَخَارِيقُ [جَمْعُ مِخْرَاقٍ ، وَهِيَ آلَةٌ تَزْجُرُ بِهَا الْمَلَائِكَةُ السَّحَابَ] مِنْ نَارٍ، يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللهُ»، فَقَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ؟ قَالَ: «زَجْرُهُ بِالسَّحَابِ، إِذَا زَجَرَهُ حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ إِلَىٰ حَيْثُ أُمِرَ». قَالُوا: صَدَقْتَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخَافُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»، قَالَتْ: وَإِذَا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ، سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾».

وَالْغَيْثُ بَرَكَةٌ مِنَ اللهِ ﷻ، يُنَزِّلُهَا إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَعُمُّ الْخَيْرُ كُلَّ أَرْجَائِهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾، وَقَدْ كَانَ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِلْغَيْثِ،

فَيَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ جَسَدِهِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَطَرٌ، فَحَسَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَوْبَهُ، حَتَّىٰ أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَىٰ»، وَمِنْ هَدْيِهِ ﷺ عِنْدَ نُزُولِ الْمَطَرِ مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَىٰ الْمَطَرَ قَالَ: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا»، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ وَابْنِ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا هَنِيئًا»، وَيُشْرَعُ أَنْ يَقُولَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ».

أَمَّا إِذَا نَزَلَ الْمَطَرُ وَخُشِيَ مِنْهُ الضَّرَرُ فَيَدْعُو الْمُسْلِمُونَ بِإِمْسَاكِهِ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ، مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَائِمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُغِثْنَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا»، قَالَ أَنَسٌ: وَلَا وَاللهِ مَا نَرَىٰ فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلَا قَزَعَةٍ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ [جَبَلٌ بِقُرْبِ الْمَدِينَةِ] مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، قَالَ: فَلَا وَاللهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سَبْتًا [أَيْ: أُسْبُوعًا]، قَالَ: ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَىٰ الْآكَامِ، وَالظِّرَابِ، [الْآكَامُ: جَمْعُ أَكَمَةٍ، وَهِيَ دُونَ الْجَبَلِ وَأَعْلَىٰ مِنَ الرَّابِيَةِ. وَالظِّرَابُ: جَمْعُ ظِرْبٍ،

وَهِيَ الرَّوَابِي الصِّغَارُ]، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ» فَانْقَلَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّنَا فِي أَمَسِّ الْحَاجَةِ إِلَىٰ الْمَطَرِ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَبْذُلَ كُلَّ الْأَسْبَابِ لِاسْتِنْزَالِهِ، وَمِنْ أَسْبَابِ ذَلِكَ:

الْأَوَّلُ: تَقْوَىٰ اللهِ. قَالَ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

الثَّانِي: التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ. قَالَ تَعَالَىٰ عَنْ نَبِيِّهِ هُودٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ :﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ عَنْ نَبِيِّهِ نُوحٍ عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾.

الثَّالِثُ: شُكْرُ اللهِ عَلَىٰ نِعَمِهِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾.

الرَّابِعُ: الدُّعَاءُ. فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو وَيَسْتَغِيثُ؛ يَسْتَنْزِلُ رَحْمَةَ رَبِّهِ، حَتَّىٰ يُرَىٰ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ، فَيُنْزِلُ اللهُ الْغَيْثَ.

الْخَامِسُ: الصَّدَقَاتُ وَالْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّىٰ ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ [الشِّرَاجُ: وَهِيَ مَسَايِلُ الْمَاءِ فِي الْحِرَارِ] قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ - لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ - فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ».